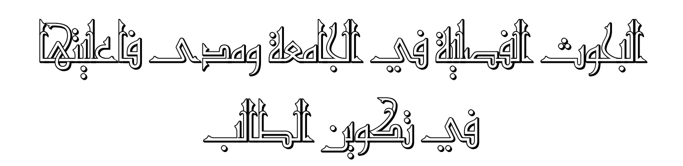


مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 08 (2010) : 163 -171
http://elwahat.univ-ghardaia.dz



البحوث الفصلية في الجامعة ومدى فاعليتها في تكوين الطالب

عبد القادر بقادر
الجامعة الإفريقية أحمد دراية– أدرار

مقدمة:

إن البحوث الفصلية هي أعمال يقوم بها الطالب في صفوف التدرج وما بعد التدرج أثناء الدراسة، يقوم فيه الطالب بالبحث في قضية ما، وقد تكون مفروضة عليه(من اقتراح الأستاذ)، أو من اختياره، وفي الوقت الراهن لم تعد البحوث مقصورة على الجامعة، بل دخلت حتى المؤسسات التعليمية، وكل ذلك لما لها من دور في تكوين الطالب، وعليه تتبادر إلى الذهن مجموعة من التساؤلات أهمها:

- ماذا يقصد بالبحث الفصلي؛ أهو ذلك العمل الذي يكون خلال الموسم الجامعي، أم هو البحث الذي يعده الطالب لمذكرة التخرج؟
- ما أهمية هذه البحوث التي ترهق الطالب وتعبه بالبحث في المكتبات، ألا تكفي الامتحانات؟
- أليس التردد على المكتبة مفيدا للطالب، ولهذا جاءت البحوث الفصلية؟
- أليست البحوث الفصلية هي التي تمكن الطالب من السيطرة على المعارف والمعلومات؟
- كيف يُعِدُّ الطالب بحثا فصليا في العلوم الإنسانية؟
- هل هناك مناهج لكتابة البحوث يتحتم على الطالب اتباعها؟
- وهل هناك منهجية مفيدة يقدم بها الطالب بحثه في الصف الجامعي؟

كل هذه الأسئلة وغيرها هي التي سوف تدور حولها هذه المداخلة، وسأحاول الإجابة عنها بحول الله تعالى.

المداخلة:

إذا أردنا البحث عن مفهوم "البحث الفصلي" وجدناها مركبة من كلمتين "بحث" و"فصل"، وما يهمنا في هذا التركيب كلمة "بحث" وعليه يجب علينا الرجوع إلى المعاجم اللغوية، جاء في لسان العرب: "البحث: طلبُك الشيءَ في التراب؛ بَحَثَهُ يَبْحَثُهُ بَحْثاً، وابتحثه... والبحث: أن

تسأل عن الشيء، وتستخبر. وبَحَثَ عن الخبرِ وبَحَثَهُ يَبْحَثُه بَحْثاً: سأل، وكذلك استَبْحَثَه، واستَبْحَثَ عنه... واستَبْحَثْتُ وابْتَحَثْتُ وتَبَحَّثْتُ عن الشيء بمعنى واحد أي فَتَشْتُ عنه... وسورة براءة كان يقال لها: البَحُوث، لأنها بحثت في المنافقين وأسرارهم أي استثارتها وفتشت عنها... والبُحوث جمع بَحْثٍ، قال ابن الأثير رأيت في الفائق سورة البَحوث بفتح الباء، فإن صحت فهي فَعُول من أبنية المبالغة"[1].

وجاء في القاموس المحيط: " بحث عنه كمنع واستبحث وانبحث وتبحث: فتّش... والبَحوث: سورة التوبة"[2]

فالبحث هو التفتيش عن الشيء في التراب لغة، وكذلك السؤال والاستخبار عنه، وتجمع على بُحوث أو بَحوث.

وإذا أردنا البحث عن مفهومه في الاصطلاح واجهتنا عدة مفاهيم ليست بالبعيدة عن المفهوم اللغوي، ومن بين تلك التعاريف: "أنه محاولةٌ لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفحصها وتحقيقها بتقصٍ دقيقٍ ونقدٍ عميقٍ، ثم عرضها مكتملة بذكاء وإدراك لتسير في ركب الحضارة العالمية وتسهم فيه إسهاما إنسانيا حيا شاملا"[3]

ومن تعريفاته أيضا هذا التعريف: "هو سعي منظم في ميدان معين يهدف إلى اكتشاف الحقائق والمبادئ"[4]

أما قاموس التربية وعلم النفس فقد عرّفه بأنه: "دراسة دقيقة مضبوطة تستهدف توضيح مشكلة ما أو حلها، وتختلف طرقها وأصولها باختلاف طبيعة المشكلة وظروفها"[5]

ومن هنا يتضح لنا أن البحث هو التفتيش والاستخبار عن الشيء، أو محاولة لاكتشاف المعرفة، أو السعي المنظم، أو الدراسة الدقيقة، كلها تصب في مصب واحد ألا وهو البحث والتفتيش عن الشيء، فالطالب والباحث كذلك يفعل فهو يفتش ويستخبر ويسأل ويسعى ويدرس، كل هذا من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية التي يريد الوصول إليها. فإذا كان هذا هو البحث بصفة عامة، فهل البحوث الفصلية تعد بحثا علميا أكاديميا؟

على كل فمادام الطالب يبحث عن الحقيقة العلمية ويفتّش وينقّب ويدرس ويسعى في بحثه سعيا منظما، فإن عمله هذا يعد بحثا؛ فهو أثناء بحثه وتنقيبه وتفتيشه ودراسته سوف يجد أشياء لم يكن يعرفها، أو كانت معرفته بها قليلة أو غير كافية، ومن هنا ندرك أهمية البحث.

كما أننا سنجد أنفسنا أمام نوعين من البحث؛ بحث مكتبي يعتمد على استخدام مصادر المكتبة للوصول إلى معلومات معينة واكتشاف حقيقة ما، وبحث ميداني يعتمد على الميدان[6] فالباحث في هذا النوع من البحوث ينزل إلى الميدان ليجد مادة بحثه.

وهناك أنواع أخرى من البحوث تكون بحسب المستويات؛ فهناك بحوث تقدم لنيل

شهادة الليسانس، وأخرى تقدم لنيل درجة الماجستير، وثالثة تقدم لنيل درجة الدكتوراه، وكل هذا لا يعنينا في هذا المقام، وما يعنينا هو تلك البحوث التي تقدم أثناء السنة الجامعية خلال مرحلة الليسانس، فإن مفهوم هذه البحوث يقول عنه الدكتور عثمان حسن عثمان: "فهي تلك التقارير والعروض القصيرة التي يقوم بها الطلبة أثناء الموسم الجامعي، بغرض مساعدة الطالب في السيطرة على المعارف والمعلومات المتحصَّل عليها في شتى المواضيع، أو في موضوع معين، باستخدام المناهج العلمية"(7)

وعليه يتضح لنا أنه يجب في هذه البحوث توفر عدة شروط منها:

1) الحجم: أي يجب أن تكون قصيرة لا تتجاوز العشرين صفحة في أحسن الأحوال.

2) الحصول على المعارف والمعلومات: ولا يتأتى ذلك للطالب إلا بالرجوع إلى المكتبة الجامعية أو غيرها من المكتبات، وما أكثرها في عصرنا هذا (عصر المعلوماتية).

3) السيطرة على المعارف والمعلومات: والمقصود منه كيفية التعامل مع كمية المعارف والمعلومات المتحصل عليها من خلال الإطلاع على المصادر المكتبية، وكذلك حسن استعمالها وفق منهجية منطقية.

4) الاختيار: فالطالب يقف في المكتبة على الكثير من الكتب وبالتالي على الكثير من المعارف والمعلومات فيها ما يحتاجه ومنها ما لا يحتاجه فكيف يختار بين هذه وتلك.

5) استخدام المناهج العلمية: إن المعارف والمعلومات المتحصل عليها يجب أن تستغل استغلالا علميا ولا يتأتى ذلك إلا بإتباع منهج علمي واضح يفضي بصاحب البحث إلى نتائج علمية واضحة.

6) المنهجية: حيث لا يتأتى كل ما سبق إلا باتباع منهجية منظمة وواضحة.

إن الطالب خلال بحثه يصادف أمامه معلومات ومعارف قد تكون جديدة يطّلع عليها للمرة الأولى، وقد تكون قبلية استثارها البحث من جديد، ومهما كانت تلك المعارف والمعلومات فإنها بحاجة إلى منهجية تنظمها وتسير وفقها، مع استخدام منهج علمي، وحُسْن الاختيار بين تلك المعارف والمعلومات، مع الاختصار.

فالبحث تكمن أهميته في تلك المتعة التي يجدها الباحث أثناء بحثه، فهو كالذي يدخل مدينة جديدة لا يعرف فيها أحدا، يبحث فيها عن شخصن فهو لا يسأل عنه كل من صادفه في الطريق، بل يستعمل حسه الفطري، ويعرف من يسأل فليس كل من في الطريق دليلك.

إن إعداد البحوث يستوجب على الطالب كثرة التردد على المكتبة الجامعية أو غيرها من المكتبات الخاصة أو العامة، وحتى المكتبات الإلكترونية على شبكة الأنترنت، أو على الأقراص المدمجة، فالطالب أُشَبِهُهُ بالنحلة التي تمتص رحيق الأزهار لتحوّله في الأخير إلى شهد فيه شفاء للناس، قال الله تعالى: [وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً

وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ][8]

فالطالب كذلك يكون كالنحلة إن أحسن استغلال المكتبة وتزوّد منها بالزاد، وعلى العموم فإن من إعداد البحوث الفصلية خلال سنوات الليسانس الأربعة يكتسب الطالب ما يأتي:

1) معارف ومعلومات
2) منهجية ومنهجا علميا
3) حسًّا مرهفا
4) شخصية علمية مؤثرة
5) سيطرة وتحكما في المعارف والمكتسبات
6) قدرة على التمييز بين المعارف والمعلومات
7) سعة الإطلاع والمعرفة العلمية
8) التعرف على المصادر والمراجع والتمييز بينها
9) تكوين مكتبة خاصة بالطالب
10) حسن استغلال الوقت

ومن خلال هذا يتبين لنا دور المكتبة في كتابة البحوث والتقارير والعروض فهي المحور الأساسي؛ لأن قيمة البحث تعتمد اعتمادا كليا على مدى استغلال المكتبة من حيث عددُ المصادر والمراجع وحداثتُها، وذلك لأن المكتبة في عصرنا الحديثة بكل أنواعها تعد المصدر الرئيسي للمعلومات والمحتوى الفكري والثقافي للأمم، ومن هنا ننادي بضرورة تطوير مكتباتنا في الجامعة الجزائرية، وطرق تنظيمها حتى تؤدي دورها على الوجه الحسن، وحتى تساير التقدم الحضاري السريع والتطور التكنولوجي الهائل، الذي يعد اليوم ضرورة ملحة يرتكز على تطوير التعليم ووسائله المادية والبشرية[9]، ومن تلك الوسائل البحث، وطرق التدريس، والبرامج...

فالطالب الجامعي في الجزائر بحاجة إلى تطوير قدراته العلمية والمعرفية، ولن يكون له ذلك إلا بواسطة البحث؛ ولهذا نجد أن البحث لم يعد قصرا على الجامعات والمعاهد، وإنما دخل حتى المدارس الثانوية والمتوسطة (الإعدادية) فالتعليم أصبح يعتمد على الأبحاث، وما يقوم به المُتَعَلِّم[10]، بل هناك العديد من الجامعات أصبحت تطلق على طلبتها عبارة "طالب بحث" بدلا من "طالب"[11]، وكل هذا لأن البحث هو الذي يطوِّر قدرات الطالب الجامعي على البحث والاستقصاء، أما الاعتماد على المحاضرة وما فيها من طرق تلقينية فقد أصبحت من الطرق التقليدية التي لا تفيد كثيرا أمام هذا التطور العلمي السريع

والتطور التكنولوجي المذهل، لأن المعلومة أصبحت مُيَسّرة وطُرُقِ الوصول إليها كثيرة، فما يحتاجه الطالب اليوم هو كيفية العثور على المعلومة والسيطرة عليها، ولن يتم هذا إلا بتدريبه على البحث والاستقصاء؛ فهو بحاجة ماسة إلى منهجية (طريقة مبررة)، ومناهج علمية تمكّنه من ذلك كله، ولأجل هذا جاءت البحوث الفصلية بشكل مكثف حتى تمكن طلبتنا من استغلال كل الإمكانات (مكتبات، وأنترنت، وأقراص، ودوريات ومجلات، مقابلات، ندوات علمية...) التي توّفر المعلومة والمعرفة لطالب العلم.

فكل ذلك يعد بالنسبة للطالب الجامعي مكتبة وإن اختلفت أشكالها، فالمكتبة هي المكملة إن لم أقل هي أداة التعليم الأولى للطالب الجامعي، فالأستاذ يقدم محاضراته للطالب فيعطيه خلالها مفاتيح المقياس، ويبقى على الطالب استكمال المعرفة من المكتبة، هذا لا يعني أن الأستاذ يمكن الاستغناء عنه، فإن للأستاذ الجامعي دورا فعالا بين الطالب والمكتبة، فهو المحرك الحقيقي الذي يثير اهتمامات الطالب نحو البحث وتوجيهه التوجيه الأمثل نحو استغلال المكتبة استغلالا عقلانيا، وغياب الأستاذ عن العملية التكوينية للطالب يعد نقصا فادحا فقد يتيه الطالب وسط هذا الزخم الهائل من أدوات المعرفة والمعلومة (المكتبة بكل أشكالها)، وعليه فالطالب بين أمرين هما الأستاذ الموجِّه والمصحح والمساعد، والمكتبة التي تزوده بكل أنواع المعارف والمعلومات، وعليه فالبحث والمكتبة يكملان ما يقوم به الأستاذ المحاضر.

بعد كل هذا نرى أن البحث يجعل الطالب قادرا على:

- إبداء الرأي والتعبير عنه
- مناقشة الآراء
- تعميق المعلومات والمعارف وزيادة التحصيل العلمي
- تنمية القدرة على التركيب والربط بين الآراء المختلفة والدمج بينها
- تنمية القدرة على الابتكار والخلق

ومن جهة أخرى فهي تفيد الأستاذ من حيث:

- الوقوف على قدرات الطالب المعرفية
- تعدد وسائل تقويم الطالب لأن البحوث تتيح للأستاذ وسيلة قياس وتقويم جديدة، وكلما تعددت وسائل القياس كان التقويم أكثر دقة

كيفية إعداد البحوث الفصلية:

إن عملية البحوث الفصلية كما سبق لنا الإشارة إليها سابقا هي بحوث أو تقارير وعروض قصيرة. يجب أن نراعي ذلك. فالقصر شرط فيها وعليه فإنه يتوجب على الأستاذ أن يكلف الطالب بعمل بحث في هذه الحدود، ويتبع الطالب ما يأتي:

1) تحديد موضوع البحث: وهذه هي أولى خطوات البحث بحيث يجب أن يكون الموضوع محددا بدقة، حتى يسمح بالكتابة والتركيز على نقطة معينة، ولهذا يجب الابتعاد عن المواضيع الغامضة والواسعة أو العامة، ومن جهة أخرى عدم اختيار المواضيع التي تنعدم فيها المراجع، أو بمعنى آخر مراعاة الوقت الممنوح، وفي العادة في مثل هذه البحوث يكون اختيار المواضيع على شكلين؛ أما الشكل الأول فإن الأستاذ يتولى عرض المواضيع على الطلبة ويقوم كل طالبين أو أكثر باختيار موضوع من المواضيع المقترحة، أما الشكل الآخر فهو أن يقوم الطالب بإحضار موضوع من اقتراحه شخصيا، وهذه الأخيرة تتطلب أن يكون الطالب بارعا ومتفوقا في العادة، وهذه الطريقة هي الأفضل؛ لأنها تعوّد الطالب على الاختيار.

2) تحديد الإشكالية: بعد تحديد الموضوع يأتي دور تحديد إشكاليته، حيث لابد له من تحديد إشكالية الموضوع بدقة حتى يساعده ذلك في تخطي الصعاب المتوقعة، وأن تكون الإشكالية ممكن الإجابة عنها، وواضحة، كما يستحسن أن تكون بأسئلة استفزازية مثيرة لفضول القارئ.

3) تحديد المصادر والمراجع: وهنا يجب على الطالب أن يميز بين المصدر والمرجع من جهة، فأما المصدر فهو: "الكتاب الذي يحوي المادة الأصلية والمادة الأولية لموضوع من الموضوعات"[12]، أما المرجع فهو: "الكتاب الذي أخذ مادته الأصلية من مصادر متعددة ثم أخرجها إخراجا يعبر عن رأي شخصي أو وِجهة نظر معينة"[13]، وعلى الطالب إذن أن يعد مصادر ومراجع بحثه.

4) جمع البيانات والمعلومات: بعد تحديد الإشكالية يشرع الطالب في جمع المصادر والمراجع، وهي مختلفة باختلاف نوع البحث فإذا كان البحث ميدانيا فإن مصادره تكون أدوات ووسائل البحث الميداني كالاستقصاء والملاحظة الشخصية ودراسة الحالات والمقابلات الشخصية... وتسمى بالبيانات الأولية[14]، ثم يسجل المعلومات على دفتر خاص وبشكل منظم، أما البحوث المكتبية فعلى الطالب أن يرجع فيها إلى المكتبة والكتب.

5) وضع خطة البحث: وتتم بعد جمع البيانات؛ فانطلاقا من البيانات والمعلومات المجموعة وبعد تحليلها ودراستها يتم رسم خطة وصورة واضحة حول الإشكالية، حيث يتم الإحاطة بكل أبعادها وجوانبها، فالخطة يجب أن تكون وفق منهجية دقيقة تجيب على كل تساؤلات الإشكالية.

6) تحديد المنهج: هذا يكون متزامنا مع وضع الخطة؛ لأن هذه الأخيرة هي التي تحدد نوع المنهج المتبع في كتابة البحث.

7) الصياغة: بعد المرور بتلك الخطوات يتم كتابة البحث على كراس أو أوراق مسودة، لتتم صياغته وكتابته على الجهاز مع مراعاة ما يأتي:

- الكتابة الجيدة ووضوح الخط إذا كان مكتوبا بخط اليد
- وضع علامات الترقيم من فواصل ونقط
- السلامة من الأخطاء الإملائية والنحوية ويتم ذلك بقراءة البحث من طرف شخص غير الذي كتبه
- التنظيم الجيد لفقرات البحث؛ فعلى الطالب أن يكون عارفا من أين تبدأ الفقرة، وأين تنتهي
- احترام قواعد التوثيق

إن من غايات البحث الفصلي هي امتلاك الطالب لآلية السيطرة على المعارف والمعلومات، ولا يكون هذا إلا بأمرين أولهما المنهجية التي يسير عليها في إعداد البحث، أما الثانية فهي المنهج المتبع في كتابة البحوث الفصلية وغيرها من البحوث؛ فكل البحوث يجب أن تكون وفق مناهج علمية دقيقة، وفيما يلي هذه بعض المناهج المستخدمة في كتابة البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية وسأكتفي بمنهجين لأنهما الأكثر استعمالا في بحوث الطلبة:

1. المنهج الوصفي: فهو ركن أساسي من أركان البحث العلمي، وهو يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الراهنة دراسة كيفية، حيث توضّح خصائص الظاهرة، ثم دراسة كمية فتوضّح حجمها وتغيراتها ودرجة ارتباطها بغيرها من الظواهر الأخرى، فهو لا يقف عند وصف الظاهرة، بل يتجاوزها إلى التحليل والاستنتاج[15]، وغالبا ما يكون المنهج الوصفي مقرونا بأداتي التحليل والمقارنة.

2. المنهج التاريخي: وهذا المنهج يقوم على تتبع الظواهر الإنسانية والاجتماعية تتبعا تاريخيا من حيث اتصالُه بالظاهر اتصالا غير مباشر، عن طريق تحليل الوثائق والسجِلات والآثار ذات الصلة بالظاهرة، إن المنهج التاريخي لا يقوم بتتبع الظاهرة تاريخيا فحسب، بل يجعل الباحث يصل إلى تعميمات واستنتاجات بعد الدراسة والتعمق في الظاهرة[16].

وهناك مناهج أخرى كالمنهج الاستقرائي، والمنهج المقارن...

ونصل الآن إلى منهجية تقديم البحوث الفصلية، وسوف أعرضها على شكل طرق:

1. الطريقة اللجان: وفيها بعد إتمام البحث من طرف المعدين له يقومون بتسليمه إلى لجنة مكونة من طالبين . فقط . أعدت خصيصا لذلك قبل عرضه أمام الطلبة بيومين أو أكثر حتى تتمكن اللجنة من قراءته وتسجل ملاحظاتها عليه، وللإشارة فإن مهمة اللجنة هي المراقبة التقنية للبحث فقط، وأثناء الحصة يقوم أصحاب البحث بإلقائه ومناقشته مع الطلبة، وتقدم اللجنة تقريرها قبل الإلقاء أو بعده.

2. طريقة الإلقاء الكلي: وفيها يقوم أصحاب البحث بعملية الإلقاء الكامل للبحث على مسامع الطلبة، وهم يسجلون ملاحظاتهم على ما سمعوا وفي الأخير تتم المناقشة علنية.

3. طريقة الإلقاء الجزئي: وفيها يقوم أصحاب البحث بإلقاء بحثهم جزئيا؛ بحيث تتم المناقشة جزءً فجزءً؛ تلقى المقدمة وتناقش، ثم المباحث واحدا تلو الآخر، وتكون المناقشة تباعا.

4. طريقة تقديم البحث للأستاذ دون عرضه: وهي أسوء الطرق حيث يقدم الطلبة البحث للأستاذ دون مناقشتهم في تفاصيله.

وأختم مداخلتي هذه ببعض المزالق التي على طالب البحث تجنبها:

- اتخاذ النقل غاية
- الإحالة على المرجع مع وجود المصدر
- الأخطاء اللغوية والإملائية...
- التكرار
- الحشو والاستطراد
- سوء استخدام المصادر والمراجع
- الخلط بين المصدر والمرجع(17)

الهوامش:

1. لسان العرب، ابن منظور، مادة (بحث).

2. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (بحث).

3. المرشد في كتابة الأبحاث، علي محمّد فودة، وعبد الرحمن صالح عبد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: 3، 1412هـ. 1992م، ص: 11.

4. نفسه، ص: 11.

5. نفسه، ص: 11، نقلا عن قاموس التربية وعلم النفس التربوي، فريد نجار، ص: 213.

6. ينظر: المنهجية في كتابة البحوث والرسائل العلمية، عثمان حسن عثمان، منشورات الشهاب، د ط، 1998م، ص: 7.

7. ينظر: نفسه، ص: 8.

8. سورة النحل الآيتان 98 و99.

9. "مدخل إلى علم تعليم اللغات: مبادئ تعليم اللغة العربية والعوامل المؤثرة فيه"، عبد الحميد سالمي، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع: 5، 1994م، ص: 135.

10. المرشد في كتابة الأبحاث، ص: 11.

11. نفسه، ص: 35.

12. مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، دار غريب، للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ج م ع، د ط، 2004م، ص: 86.

13. نفسه، ص: 86 و87.

14. المنهجية في كتابة البحوث والرسائل الجامعية، ص: 21.

15 . ينظر: مناهج البحث العلمي وأساليبه، سامي عريفج وآخرون، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1987م، ص: 105.

16. ينظر: نفسه، ص: 121 و122، وينظر: المنهجية في كتابة البحوث والرسائل الجامعية، ص: 28.

17. ينظر: مزالق في طريق البحث اللغوي والأدبي وتوثيق النصوص، عبد المجيد عابدين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط: 1، 2001م.